رواية

أحببتها ولكن كان للقدر رأي آخر

مُصْطَفَى الشُّومَان

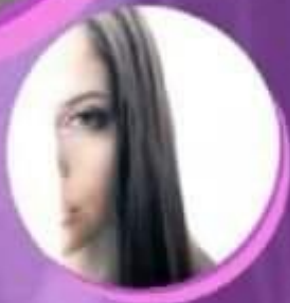

رواية

أحببتها ولكن كان للقدر رأي آخر

مصطفى الشومان

٢٠١٧م - ٢٠١٨ م

رابط حسابي الفيس بوك

https://www.facebook.com/profile.php?id=

100063145960221

الإهداء

لكل من وثق بالحب

و في ظلِ عالمكَ الخاص، الذي تحاول أن تجعله متماسكاً بالقدرِ المستطاع، و لا تستطيعُ السيطرةَ عليه بشكلٍ كاملٍ، فجأةً يظهرُ شخصً من خلفِ الكواليس، يشدُ انتباهك، لأنه على الأرجح أثار سكون وحدتك، و أثار فضولك لتعرف من هذا الشخص الذي يستجري لاقتحام حياتك البسيطة الهادئة، فأنت لم تعد ترغب بزحمة ، و كركبة غير منطقية في حياتك ، تشعر بالفضول و الانزعاج، بينما في الوقت ذاته يجلس ذلك الشخص بجانبك دون استئذان، و يبدأ بالتعريف عن نفسه، و أنت ما زلت تفكر، من جاء بهذا الشخص إلى هنا!

و لماذا يعرفني عن نفسه أصلاً؟

و لماذا هو مهتمٌ للتعرف عليك، ماذا أنت بالنسبة له، و لماذا يريد إقتحام حياتك!؟

ثم يظل هذا الشخص يجرك بالحديث لِتُعَرِفَهُ عن نفسك، ثم يحاول أن ينبش بماضيك المؤلم، و يعبث بحياتك؛ يحاول جاهداً أن يخبرك بأنه معك و أنه مستعد للاستماع إليك و لمساندتك أيَّاً كان ما تمر به، إنه يجعلك مستمعاً جيداً، تسمع كل شريط حياته الممل، و رغماً عنك تتأثر و تضطر

لمواساته، و بطبيعة الحال تطمئنهُ أنك معه الآن، فيتمسك بك جيداً ، و يخبرك أنك طوق نجاته من هذا العالم المتوحش، و أنك ملاك على هيئة بشر أرسلكَ الله له ليتعافى بك من كل الأشخاص السيئين، الذين مروا بحياته و أنك عوضه الذي سيصونه و يحفظه.

تبدأ رغم قلقك، و عدم أمانك التام لأي أحد ، تحاول و يحاول قلبك إعطائه الأمان و إن لم يكن بالكامل، لكنك تحاول إعطائه فرصة وتستمع له ، وبالحديث تتغير الألقاب إلى أسماء، و الأسماء إلى كنايات الحب و يكثر الحديث، و بدل أن تحاول أن تُماسك عالمك الخاص بدأت تنظر لذلك الشخص على أنه هو الأمان، وهو من ينظم عالمك، و يضيء عتمتك، و بعد كل شيء و كأي شخص طبيعي، و ليس ملاكاً ستختلفون في الرأي أحياناً، و تتشاجرون أحياناً أخرى، و هنا يُصدم الطرف الأخر بك ، و هذا طبيعي لأنه أعتبرك ملاكاً و ليس بشراً، و في أكثر لحظات حياتك احتياجاً له ينسحب من حياتك لأتفه الأسباب، و كأنه لم يكن، و برحيله تحدث فوضى كبيرة بحياتك، و ينهار عالمك الصغير المتماسك قليلا، الذي

جاهدت للحفاظ عليه؛ ينهار بالكامل أمام عينيك، فتصحو من أوهامك على صدمة حياتك المدمرة، و تبدأ بلوم نفسك على تمسكك بذلك الشخص الذي دمر حياتك، و تنظر لحياتك المدمرة بيأس، و تشعر بخيبة الأمل بذلك الشخص، و كمِّ الوعود التي أخلفها فجأةً برحيله المفاجئ و ما صدمتك أكثر تفاهة سبب رحيله، لقد دمر حياتك أكثر مما هي مدمرة و أنهار ذلك الحصن الهش، و انهرت معه لفترة لا تعلم أنت متى تنتهي، لأنك ببساطة مللت هذه المرة من المحاولة ، فبناء حياتك من جديد أمر يصعب عليك تحمله.

***

إننا بعدَ بلوغنا نبقى في هذهِ الحياةِ مشردين، لا نعلم ما نريد، حتى يأتي انسان من غيرِ جنسنا، يحتوينا بقلبهِ

وعقلهِ، ويبقى لهذا الإنسان أثرٌ في قلوبنا، فإن وفى وصدق باحتِوائه لنا، كانَ الأثرَ بسمةً لنا طيلةَ الحياة، وإن خان وكذب، كان الأثر خيبةً ودرساً قاسياً على مر الحياة.

لا يخلو جسدٌ، ولاتخلو روحُ أي إنسانٍ فينا من الحب، لكن له انواع كثيرة ، كحب المرء لوالديه ، أو حب المعلمَ لتلميذه ، أو العكس أو ان يحب المرء احد أصدقائه، لكن هناك نوع آخر مختلف للحب، وهو الحب الذي يتغنى به العاشقين، فلامثيل له ، ومن أحب بقلبه لا يمكن أن يكره من أحب مهما حصل، لأنه قد حُفر في قلبه والعشق منبعه القلب، والقلب لا ينسى من أحب .

من قال ان الحب عيباً، ومن قال ان الحب أكذوبة....!؟

الذي قالَ بأنه عيباً لا يعلم بالأصلِ ما هو الحب، فيظنُ أنه يمثلَّ شخصيته عندما أحب فيطلق عليه بأنه عيباً.

والذي قالَ بأنه أكذوبةً هو شخصٌ لا يعرف منه إلا اسمه، ودائماً يقومُ بالتلاعبِ بمشاعر الآخرين، فيظن أن العشاق جميعهم كاذبون مثله.

لكــن للحــبِ والعشــقِ معنــىً مختلفــاً، فهــو حــب التملــك وحــب الروح ، ولايمكن أن يكون حب الجَسدِ فقط.

فالحــب الحقيقــيُّ هــو أن يــأتي إنســانٌ يشــعل النــور فــي حياتــك، بعــد أن كانــت مظلمــةً، ، ويجعلــكَ تشــعرُ بــأن لهــذه الحيــاة معنــى جمــيلاً بعــد أن كانــت دون معنــى ، هــو روحــاً تســكن بهــا جســدان ، فجميــلٌ أن يقــوم أحــدهم ببنــاء أحلامــه علــى كلمــةٍ مــن محبــه، ولايفكــرُ أبــداً بخذلانــه لــه. فحــين يبــدأ العشق فينا هنا نستطيع القول بأن الحياة قد بدأت.

***

لكن هناك الكثيرُ من العوائقِ التي تقفُ في طريقِ العاشقين .

ومن أكثرها في المجتمع الذي أعيش فيه، هي (العادات والتقاليد) حيث يتم إجبار الفتاة على الزواج من أحد أقاربها أو لا يصح للفتاة ان تتجوز خارج قريتها، فتبتعد عن محبها مرغمةً.

وأبشع ما في الحب الخيانة

والخيانة : هي أن يقدم لك أحدهم أغلى ما يملك، وتعاهده على إكمال الطريق معه، فتمضي وتتركه في منتصف الطريق، بسبب إعجابك بشخصٍ آخر ، أو أنك لم تحبه منذ البداية، وقد تظاهرت بحبك له لغايةٍ في نفسك، أو أن يحبك أحدهم بكلِّ ما أوتيَّ من مشاعر صادقة ، ولايستطيع الابتعاد عنك، فتخذله وتتصرف معه بأفعال تجبره على الرحيل عنك.

تتعدد الطرق في الخيانة:

فربما تضحي الأنثى بأغلى ما تملك لرجل تظاهر لها بحبه، وهو أرادها لإشباعِ رغبتهِ ، فتكون خسارة الأنثى كبيرة، وينطفئ النور الذي يضيئ قلبها ، وتصبحُ جسداً هزيلاً وكأنها جثة.

وربما يضحي رجلٌ بماله وقلبه وسعادته ووقته من اجل أنثى كان هناك جراح في قلبها، فوضعته بمثابة دواء تنقطع عنه حيث تشفى.

فكم من أنثى أصبحت ضحيةً لشهوة ذكرٍ، سلب منها أغلى ما تملك.

وكم من رجل يأتي في آخر الليل مهزوما، فاقداً لابتسامته ودموعه تملأ وسادته بسبب خيانة فتاة له.

او ربما تكون المسافات التي تفرق أجساد العاشقين لا قلوبهم ، وينتهي هذا الحب بأن يختار كل فردٍ طريقه ويسير بمفرده في ذلك الطريق مرغماً.

أو ربما يكون فَقرُ الرجل هو سبب لعدم إكمال الطريق مع محبوبته، لأنه غير قادر على أن يؤمن متطلباتها التي يريدها زوجةً له فيكون الفراق هو مصير ذلك الحب.

في كل قصة حب، هناك طرفاً يتلقى مهالك الفراق، ويحصد أشواكَ الخيانة بقلبه العاري، فلا يستطيع أن يرحل، وأن يبعد قلبه عن ذكرِ من أحب، فتتحول حياته إلى جحيم ونار تلتهم الفؤاد كل ما إن هبت عليه نسمات الحنين .

ليس هناك ما هو أقوى من العاشقين عندما تتشابك أيديهم وتتوحد روحهم، وليس هناك ما هو أضعف منهم عندما تُفلتُ الأيادي، وتنقسم الروح، فما أجمل حبٍ انتهى بالزواج، وما أسوء حب شَّعب الطريق امام العاشقين، وأجبر كل فردٍ على السير في طريق مختلف عن الآخر .

***

من بين صواريخ الطائرات، ومن فوقَ انفجارات الألغام، ومن أمام رصاص البندقيات، ومن تحت حطام المنازل ، أسمعُ صدى أنين بلادي سورية في أذنيَّ، وأرى عاصمتنا دمشق تنحدر نحو تهلكة لا مفر منها، وأراها تبدأُ غورها في الثرى بعد أن كانت تعانق السحب.

٢٠١١/٣/١٥م كتبَ على أشجارِ الياسمين الدمشقي أن ترتوي بالدماءِ بدلاً من الماء،، فأصبحت زهراتُ الياسمين حمراء، وتبدل عطرها إلى رائحة دماء شكلت سحابةٌ خيمت على سورية وأهلها.

ونحن لم يكن بحسباننا أن الحرب ستجتاح كل منزل في البلد، فلم نحسب حساب العواقب، ولم نستعد لها، حتى امتدت إلى جوفنا، فبدأت بأجسادنا، وتغلغلت فيها، ثم بعد ذلك نرى أحلامنا وطموحاتنا ورغباتنا البسيطة تضعف

وتتلاشى شيئاً فشيئاً حتى اختفائها مع حرب كالنار تحرق كل ما تجده أمامها ولاتستثني أحداً.

وفي ظل هذه الحرب هناك من ارتفعوا بعد أن كانوا أسفل القاع ، وهناك من أُبتليَّ بلعنةِ الفقد وظن أنَّ حياته توقفت بعد رحيل من فقد، لكن الحياة لم تقف على أي إنسان فينا، ستمضي بحلوها ومرها إن شئنا أم أبينا. ونحن هنا يجب أن نكافح من اجل أن نعيش إن لم يكن من أجلنا فيجب أن نعيش من أجل من نحب، فربما نكون نحن الحياة بالنسبة للأشخاص الذين يحبوننا، ومن الصعب أن نرحل عنهم وندعهم دون حياة.

***

لا أستطيع أن أنسى تلك الجملة التي كان يرددها معلم اللغة العربية لي، "أُهنؤك على هذه الروح المَرِحة وربما سأحسدك ذات يوم".

كل ما أطمح به هو انتهاء الفصل الدراسي، والوصول إلى أمنيتي التي كنت احلم بها منذ زمن طويل، مدرساً لمادة اللغة العربية ، كنت أحبها كثيراً ، وأسعى على تحقيق حلمي الذي رسمته في مخيلتي منذ سنوات قد مضت، وعملتُ عليه جاهداً حتى وصلتُ إلى ما وصلت اليه الان، فلم يبقَ بيني وبين دخول كلية الآداب سوى عامً واحد، ولدي ثقة كبيرة بنفسي على اجتياز هذا العام بنتائج إيجابية، إن لم تصل الحرب إلى قريتنا، فحينها سيذهب كل شيء كورقة خريف في مهب الريح .

قريتي الصغيرة كانت آمنةٌ من القصف ولكن لم تكن آمنة من غلاء الأسعار او السرقة وماشابه ذلك ، مما أورث الفقر لدى العديد من العائلات فيها، فانتقلنا من مرحلة السكون والاستقرار، إلى مرحلة التعايش فيها.

استيقظت كعادتي الساعة السابعة صباحاً، ذهبت إلى مدرستي بعد أن غيّرتُ ثيابي وعندما شارفت على

الانتهاء من الدوام، أسرعت بالعودة إلى منزلي، كي أُغير ملابسي مجدداً، لألا أتأخر عن عملي في إحدى المطاعم.

أصبحت الساعة الحادية عشر ونصف مساءً، فأمسكتُ كتابي الذي جلبته معي من منزلي، وبدأتُ بتنفيذ واجباتي المدرسية، حيث يخف الإقبال على الشراء في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ، وأستغل هذه الفرصة في إنهاء واجباتي.

فجأةً دخل ربُّ العمل، ووجدني اقرأ، فأعلَنت ملامحه الغضب في وقتٍ ترتجف به ساقايَّ من الارتباك.

فقال :

- **هل هذا مطعمٌ أم مدرسةٌ!**

لم أجب على سؤاله واكتفيتُ بالنظر نحو الأسفل، فعلا صوته وقال :

- **إن وجدتُ هذه الكتب هنا مجدداً سأمزقها**
- **لكن يا سيدي إنني في مرحلةٍ صعبة من الدراسة، وفي هذا الوقت لا يأتي أحداً من الزبائن.**

- **هـذا لـيس شـأنكَ، عليـك أن تختـار إمـا العلـم او العمـل، أو اختـر مـا تريـد، لكـن حـذاري أن أجـدك تقـوم بواجباتـك المدرسية هنا.**
- **حسنا، لكن.....**
- **لا تجـادلني، كـف عـن الثرثـرة فـلا كـلام لـديَّ غيـر مـا سمعت.**

عـدتُ إلـى منزلـي بعـد أن انتهيـت مـن العمـل، كانـت عـائلتي نائمة.

وضـعتُ رأسـي علـى وسـادتي وبـدأتُ بـالتفكير، إن فعلـت مثلمـا قـال لـي فـإنني حتمـاً سأخسـر ، إمـا علمـي أو عملـي، وبـدون هـذين الشـرطين الأساسـيين لا سـبيل للوصـول إلـى الأمنية، فمالحل!

- **سأطلبُ من والدي أن يقوم بتأمين قسطاً لمساعدتي.**
- **لا، لا إنـه بعـد سـبعة سـنوات حـرب لا يملـك حتـى ثمـن الغذاء، فكيف سيقوم بتأمينه؟**

فجـأةً وجـدت نفسـي أمـام كليـة الآداب، هـل حقـاً هـذه السـيارة لي، أين أصبحت انا؟

- **ليث، ياليث، إنهض لقد تأخرت على مدرستك.**
- **مجدداً، حلمٌ بالأمنية، متى سيصبح الحلم حقيقةً؟**
- **ماذا تقول ياليث، هيا انهض بسرعة.**
- **لقـد كنـت أرى حلمـاً كعـادتي يـا أمـي ، تمنيـت أن أكملـه، أمي أنا متعب، دعيني أكمل نومي.**
- **سـتمحو الايـام الجميلـة كـل مـراً قـد مـررت بـه، أتمنـى لـك السعادة والهناء، فلا يقوى قلبي بأن أيقظك وأنت متعب**

- **ليث، تعال إلى هنا.**
- **حسناً، حسناً، انأ قادم يا أبتي.**
- **ما بك يا ليث ، ولماذا لم تذهب إلى مدرستك؟**
- **لقـد تـأخرتُ فـي العمـل ليلـة البارحـة، ولـم أكتفـي مـن الراحة.....**

- **دون جدال، البس ثيابَ المدرسة ، ثم اذهب إليها .**
- **حسنا، كما تشاء.**
- **توقف، ما بك كأنك لستَ على ما يرام!**
- **لا شيء يا أبي ، لا تقلق .**
- **ليث أنا أعرفك متى تكون على ما يرام، ومتى تكون عكس ذلك، قل لي ما ورائك؟**
- **تعدني ألا تغضب إن فعلت؟**
- **إن كان أمراً يستحقُ الغضب حتماً سأغضب، قل بسرعة.**
- **لقد وبخني ربُّ العمل ليلة البارحة، وطلب مني ألا أقوم بواجباتي المدرسية في مطعمه، وأنا ليس لدي متسعٌ من الوقت كي أقوم بها في وقتّ غير وقت العمل.**
- **حسناً، حسناً.**
- **ماذا يا أبي .**

قاطعني بالخروج من الغرفة بعد أن ظهرت عليه علامات الحزن، فتركتُ تدبير أمري لرب التدبير، وذهبتُ إلى المدرسة بعد مرور ساعةً من بدء الدوام.

طرقتُ الباب

- **افتح الباب.**

فتحت الباب ودخلت الصف فقالت المعلمة

- **لماذا تأخرت على الحصة الدراسية؟**
- **لقد كان لدي عملاً أقوم به، أرجو المعذرة.**
- **أخرج من حصتي، ولا تدخل قبل أن ينتهي الدرس.**
- **يا آنسة .....**
- **قلت لكَ أخرج ، لا تجبرني على إحضار المدير .**

نظرتُ في وجوه الزملاء لثوانٍ قبل أن أخرج، فمارأيتُ منهم غير الاستهزاء والسخرية.

جلستُ في باحة المدرسة، على بعد مترين اثنين من زميلاتي المشاكسات ، فقالت لي إحداهم :

- **ليث هل طُردت أنت أيضاً؟**
- **نعم، المعلمة في حالةٍ عصبية فقامت بطردي.**
- **وهل تحزنُ لأنك طردت؟**
- **كثيراً يا سارة، إنها أُمنيتي وأسعى لتحقيقها .**
- **ومتى، وهل تظن أننا سنبقى أحياءً بعد عام ؟**

- **إن بقينـــا أحيـــاء، سأصـــل بـــإذن الله، وإن مـــتُّ يكفينـــي فخـــراً أنني متُ في طريق الوصول إلى الأُمنية**
- **ليث، لماذا لا تحب كبقيةِ شباب الصف؟**
- **لا أؤمـــن بتلـــكَ الخرافـــات التـــي تتوهمونهـــا يـــا ناقصـــين العقل.**
- **قل ما شئت ياليث، ستدرك ذات يوم أن العقل في الحب.**
- **أضحكتِني مرغماً، لكن لا أظن.**

قُـرعَ الجـرس، فـذهبتُ لحضـور الحصـة الثانيـة، وأكملـت حتـى انتهيت من الدوام، وعدت مسرعاً لأعود إلى عملي.

صـــادفتُ فتـــاةً علـــى بـــاب منزلنـــا، فقلـــت لهـــا كيـــف حالـــك، وأكملـــت دخـــولي قبـــل أن أســـمع ردهـــا ، ثـــم ذهبـــت الـــى العمـــل كعادتي

بعـد سـبعةِ أيـام نَـدَهَ لـي والـدي بعـد عـودتي مـن العمـل ، وقـال لـي، لـن أسـمح لـكَ بالـذهاب إلـى العمـل مجـدداً بعـد اليـوم، فـرّغ وقتـك مـن أجـلِ الدراسـة، كـي تصـبح معلمـاً للغـة العربيـة مثلي.

- **والقسط يا أبي؟**
- **لقد منَّ الله علينا بمصدر رزق جديد، بعد سجودي في ليلي، وإلحاحي في الدعاء.**

كانت فرحةُ والدي لا تصفها حروف، فهي تعدت فرحتي بنفسي.

فقال لي : أخرج من الغرفة ، فسيأتي الطلاب والطالبات لتلقي الدروس الخصوصية.

فتحتُ الباب للخروج، فرأيتُ تلكَ الفتاة التي وجدتها البارحة على باب المنزل.

كان والدي يعمل مدرساً ويقوم بإعطاء دروسٌ قبل الامتحان بفترة طويلة لطلاب وطالبات المرحلة الإعدادية، في منزلنا.

مجدداً، أُصادفُ تلكَ الفتاة عند خروجها، بينما كنت أرسم قليلاً في وقت فراغي، نظرت نحوي ثم ضحكت وأكملت خروجها.

كانت تلك السمراء التي صادفتها ثلاثة مرات، خجولة نوعاً ما، وكلما تراني بعدها لا تستطيع إخفاء ابتسامتها.

تذكرتُ قولي معلم الفلسفة، لا توجد صدف، كل شيء تصادفهُ فهو مساقٌ إليك .

هذه الفتاة مجنونة ضحوكة.

لكن لماذا مجنونة؟

لأنها تنظر لي فقط!

ربما كان حالها هذا مع الجميع، وليس معي فقط.

انصرفوا الطلاب من منزلنا منذ عشرة دقائق، وأنا أردتُ الذهاب إلى المكتبة لأشتري قلما، قبل أن ينفذ حبر قلمي.

وصلت باب المكتبة وفتحته، فحصل ماس كهربائي في رأسي ، كتصادم شحنة كهربائية موجبة مع أخرى سالبة.

لقد رأيت تلك الفتاة أمامي في المكتبة، وعندما فتحتُ الباب التفتت لترى من الذي دخل، فوجدتني أنا، فأطالت نظراتها نحوي، وتظاهرتُ باللامبالاة نحو تلك النظرات.

لكنني إنسان فضولياً كثيراً، أريد أن أعرف لماذا أطالت النظرات، والابتسامات؟

ومع كثرة النظرات المنبعثة من عينين تلك الفتاة ازداد فضولي كثيرا بأن أعرف ما هو وراء تلك النظرات وما تخفيه ...؟

في البداية كنت أريد معرفة اسمها وفعلت ذلك

فسألتُ إحدى صديقاتها وهي ابنة عمي عن اسمها فقالت لي اسمها (ليلى)

من أنتِ يا ليلى ؟

ولماذا هذه النظرات؟

وما مرادك ؟

***

تلــك الســمراء، اجتمــع الــبنُ فــي عينيهــا الجميلتــين، واجتمعــت ملامحها الناعمة في جسد فتاة تحملُ أنوثةً طاغيةً.

لا أعلــم لمــاذا كانــت مختلفــة عــن جميــع الفتيــات التــي أراهــا تــأتي إلينــا ، شــعرتُ بأنهــا مزاجيــة بعــض الشــيء، فتــارة أســمع صــوت صــراخها فأعتقــد بأنهــا فتــاةُ عصــبيةٌ مجنونــة، وتارةً أسمع صوت ضحكتها وكأنها في مسرحٍ..

أظــن بأنهــا متقلبــة المــزاج دائمــاً، ولا أســتطيع الحكــم عليهــا بأي شيء.

كانــت تلــك الابتســامة التــي ترســمها شــفاها الحمــراءُ الناعمــة عالمٌ يُستَحقُ التأمل والاكتشاف.

بعد سبعة ايام من النظرات التي أصبحت متبادلة بيننا،

بدأ الإنسان الفضولي الذي يمكث بداخلي بتحريضي للانجرار وراء النظرات تارة، ووراء الابتسامة تارة أخرى.

لا أعلم أيُّ رجفةٍ حلت على قلبي، عندما رأيتها تبتسم!

أيعقلُ بأنها تعرفني ، وحصل بيننا موقفٌ ذات يوم وانا لا أذكره ؟

لكني لا أذكر بأنني رأيتها، أو جالستها ذات يومٍ من الايام الماضية.

استطاعت ليلى أن تجرَّ أفكاري نحوها شيئاً ما، وأصبحتُ أسترقُ النظرات نحو ملامحها الناعمة،

ملامح وجهها بعدما بدأتُ في تأملها لم تفارق مخيلتي أبداً ، أصبح هناك شيئا آخر يشارك امنيتي في تفكيري، لكن كان هذا الشيء فوق إرادتي ، فأنا أجد نفسي منجراً وراءها دون أي حساب للنتائج السلبية، وهذا كله يحصل

فـــي بدايـــة الأمـــر، فكيـــف إن قُـــدِر لنـــا بأنـــه سنصـــبح عاشـــقين، وهذا ما توحي له البداية.

كانـــت وجنتيهـــا منتفخـــة جميلـــةٌ، أدركـــت مـــؤخرا بأنهـــا تصـــبغُ بـــاللون الاحمـــر مـــع حلـــول فصـــل الشـــتاء ومـــع الخجـــل الـــذي يعتريها.

ســـؤال يـــدور فـــي ذهنـــي، هـــل ســـأكون يومـــاً مـــا مصـــدراً لاحمـــرارِ تلـــك الـــوجنتين بعـــد دقـــائق أو ســـاعات أو ربمـــا بعـــد كلمـــة واحدة ، وهل هي بداية عاشقين اثنين؟

ابتســـامةٌ مرفوقـــةٌ بغمـــازةٍ علـــى الخـــد الأيســـر لهـــا، يالرجفـــة قلبي.

بمترٍ ونصف استطاعت تنير ظلمات عتمي.

ربمـــا هـــي جميلـــة الـــى هـــذا الحـــد بـــأعين الجميـــع وربمـــا بعينـــي فقط

أمـــا بالنســـبة لـــي فكلمـــا ازداد تفكيـــري بهـــا ازداد تقصـــيري فـــي الواجبات المدرسية

ماذا تريدين، ومالسر بينك وبين فؤادي؟

***

كل يوم تزداد رغبتي بأن أعلم ماذا تريد مني ليلى

أصبحتُ دائما أُراقبها خلسةً، ولا أسمح لها برؤيتي وأنا أُراقبها ، فأنظر إليها وأتأمل ملامحها الجميلة، كانت دائماً ترتدي ملابس ألوانها فاتحة، يظهرُ عليها بأنها لا تحب الحزن أبداً، تمنيتُ ألا تذهب من منزلنا، وأن تبقى فيه، وعندما تغادر المنزل أنتظر قدومها إلينا كل يوم بفارغ الصبر.

ومع مرور الايام كثرت تبادل النظرات والابتسامات بيننا، وبعد ثلاثين يوماً من نظراتٍ وابتسامات، أصبحت ليلى تشغل تفكيري ليلاً ونهاراً، حتى بعد النوم أراها في حلمي وعند ذهابي إلى المدرسة، أبقى شارد الذهن فيها، أبحث عن طريقة أخبرها بما يحصل لي، وبأنها قد أشغلت

تفكيري، لكن لا يمكنني أن أخبرها بذلك جهرا لأنني في مجتمع تحكمه عادات وتقاليد لا تسمح لي بذلك ولا سبيل لي بأن أخبرها سراً.

فماذا سأفعل؟

****

لا أستطيع أن أصف شعوري ودقات قلبي المتسارعة عند رؤيتها وسماع اسمها عندما تناديها صديقاتها، كانت ابتسامتي بشكل لاإرادي ترسم على وجهي.

اجتمعت براءةُ الطفولة في قلبها، والبنُّ في عينيها، والسعادة في ملامحها، كما أنها ثلاثينية بعمر العشرين.

لقد اقتحمت عيناها حُصناً عجزت عنه جيوش الأرض، فأيُّ قوةٌ تمتلكُ تلك العينين؟

عزمتُ على أن أشارك ليلى في حياتها وأعترف لها بما يحصلُ لي ، لكن لم يكن الأمر بهذه البساطة، فالخوف

والتـــردد، والعـــادات والفكـــر، كلهـــم يقفـــون لـــي فـــي طريـــقِ الاعتراف.

لكنـــي ســـأخبرها، وكنـــت علـــى ثقـــة تامـــة بأنـــه ســـيأتي اليـــوم المناسب دون أي تفكير مني.

وذات يـــوم ربيعـــي معتـــدل المنـــاخ ســـاق القـــدر لـــي بأنهـــا تريـــد أن تقـــيمَ احتفـــالاً فـــي منزلنـــا مـــع صـــديقاتها، بســـبب اقتـــراب موعد انتهاء الدورة الدراسية الأولى.

فبـــدأوا بالتحضـــير والتخطـــيط لهـــذا الاحتفـــال واتفقـــوا علـــى أن يكون في يوم الغد.

لـــم أســـتطع النـــوم فـــي هـــذا اليـــوم لأننـــي شـــعرت بـــأنني عـــاجزاً علـــى إخبارهـــا بحبـــي لهـــا ولـــم يعـــد لـــدي متســـع للوقـــت غيـــر يـــوم الغد للاعتراف لها بذلك.

وفـــي اليـــوم الثـــاني كنـــتُ أجلـــس تحـــت أشـــعة الشـــمس المعتدلـــة أنتظـــرُ قـــدومها لمنزلنـــا ، وعنـــدما قَـــدُمت ذهبـــتُ للجلـــوس بجـــوار الغرفـــة التـــي ســـيقيمون فيهـــا الحفـــل، وبعـــد دقـــائق بـــدأوا بالاحتفال فأرسلت لي مع شقيقتي طبق ممتلئٌ .

دنـوتُ بجـوار نافـذة الغرفـة التـي يُقـام بهـا الحفـل، فكانـت تـتكلم مـع والـدتي ، و تسـألها أسـئلةٌ تـدور حـولي، فسـألت والـدتي في أي يوم ولد ليث.....؟

فقالـت لهـا والـدتي، فـي اليـوم السـابع والعشـرون مـن شـهر ديسمبر للعام ألفين الميلادي.

لكن لماذا تسأليننني هذا السؤال؟

فأجابتهـا، إنـه سـؤال طبيعـي ولا أقصـد بـه أي شـيء ،مـن بابِ المعرفةِ فقط

وبعـد حـديث بينهـا وبـين والـدتي، طلبَـت مـن والـدتي رقمهـا الـواتس أب ، فأعطتهـا إيـاه، فقمـت بإرسـال هـذا الـرقم مـن هـاتفِ والـدتي لـي، وحـدثتها بذريعـة أن شـقيقتي هـي مـن تحدثها، دون أن أخبر والدتي بالأمر .

ففـي اليـوم الأول وبعـد أن أرسـلت لهـا رسـالات الترحيـب أرسلت لي رسالة نصية،

- **هل هذا الرقم لكِ حقاً؟**
- **لا، هذا الرقم لشقيقي، لكني دائماً أستعملهُ.**

- **ومن هو شقيقك؟**
- **ليث ، الذي أرسلتِ له الحلوى معي.**
- **اه، تذكرته.**

ربما كان قلبها البريء يخبرها بأنني أنا من يتكلم فالقلوب البريئة صادقةً بإحساسها.

سأرسل لها وأعترف ، لكن أخشى من كل شيء.

.وفي اليوم الثاني لم أستطع الانتظار أكثر، فبدأت ألمح لها عبر حالات الواتس أب بأنني أحبها، ولكن كانت تراها دون أي ردة فعل .

أنا في حيرة من أمري، هل بالفعل كانت أفعال ليلى ونظراتها وابتسامتها وأسئلتها عني شيء طبيعي أم أنه الحب الذي فُرض على كلانا، وهي تُكابر أمامي!

أصبحت مشتت الأفكار، وشارد الذهن بعد أن بدأتُ بالتلميحِ لها، ولم تفعل شيئاً ، أريدُ أن أعلم ما تخفي وراء أفعالها مهما كلفني الثمن..؟

فحدثتُ قلبي وأخبرتهُ أن يمهلني ليوم الغد عسى أن يحدث أمراً ما.

وفـــي هـــذا اليـــوم الثانيـــة تجـــري كأنهـــا دقيقـــة، والدقيقـــة كأنهـــا عشـــرُ دقـــائق، والعشـــر دقـــائق كأنهـــا ســـاعات، لأننـــي أنتظـــر يوم الغد، يوم قدوم ليلى إلى منزلنا.

فعنـــدما أتـــت إلينـــا كعادتهـــا، ســـألَت شـــقيقتي مـــن الـــذي يضـــع هده الحالات فقالت أيُّ حالات؟

- **مـــن الـــرقم الـــذي تكلمـــتِ منـــه معـــي، هـــل حـــدثتيني أنـــتِ مـــن رقمه؟**
- **لا، لـــم أفعـــل هـــذا، أنـــا لـــيس لـــدي رقمـــاً، ولا أســـتعمل هاتفـــاً، هل هناك شيئاً ما.**
- **اه ربما أنا مخطأةً، أنسي الأمر.**

تبســـمت ليلـــى ودخلـــت الغرفـــة المخصصـــة للدراســـة، وأنـــا مرتبك جداً إذا عرفتني بأني أنا من يضعها.

يمضـــي اليـــوم ببطـــيءٍ شـــديدٍ وانتهـــت المهلـــة التـــي طلبتهـــا مـــن قلبـــي، لكنـــي مـــا زلـــت مُصـــراً حتـــى وإن أخلفـــتُ بالعهـــد معـــه وتجاوزت المهلة المحددة.

ساعدني يا إلهي وأرح شتات فكري، فلا أعلم هل أنني في أفضل مرحلة في حياتي ام أسوئها؟

لقد قالت لي زميلتي سارة ذات يوم، إن العقل والسعادة في الحب، أما عني أنا، كأني أخوض معركةً في حبي.

مضى النهار وبدأ حلول المساء، ومع حلوله أجلس على سطح منزلنا الريفي، أشعل سيجارةً لأول مرة في حياتي وأفكر ، كيف سأصل لليلى، ولماذا لم ترسل لي بعد أن عرفت بأني أنا من حدثها، ألا ينتابها الفضول لتعرف سبب محادثتي لها.

وأتساءل : هل ليثً يشغلُ تفكير ليلى الآن، كما ليلى شغلت فكر ليثً؟

ثم وضعتُ رأسي على وسادتي ولازلت أفكر بها، ومحتاراً هل الحب نعمةٌ أم نقمٌ، لكنني لا أريد التفكير بالعواقب والنتائج السلبية، هذه هي الدنيا، يجب أن نفكر في اليوم الذي نعيشه فقط كما قالت لي سارة ذات يوم.

نظرتُ نحو كتبي، فلم أستطع أن أقرأ .

استيقظت صباحاً، ولم أذهب إلى المدرسة، لأني في حالٍ يرثى له ، فأمسكت بهاتفي ووضعتُ قصةً أطلبُ من ربي أن يعجل بموتي، فأرسلت لي رسالة تطلب مني ألا أدعو على نفسي، فأجبتها لماذا..َ؟

فقالت لي هذا الشيء لا يجوز ،هناك من ينتظرك.

- **ومن ذا الذي ينتظرني؟**
- **أنظر من حولك وستعلم من هم.**
- **من تقصدين يا ليلى ؟**

لقد أُقفلت هاتفها، تباً للإرتباك ، لقد نفذت مني هذه الفرصة.

لكني فرحت بهذا الشعور الجميل ، وأظن انني من هذا المنطلق استطيع أن أعبر لها واكلمها.

فاتخذت قراري أن أعترف لها عبر الهاتف، عن طريق قصص الواتس أب . فإن كانت هناك مشكلة ما، سأقول بأني لم أقصدها ، وأن لم يكن هناك مشكلة سأخبرها على الفور.

وضعت أول قصة لها عبر الواتس أب، كتبتُ بأنني أحبها وأوحيتُ بأنني لا أجرأ على الإعتراف لها بطريقة مباشرة، فرأتها ولم ترد عليَّ بشيء.

عدتُ ووضعتُ قصة جديدة، أطلب منها إن كانت تحبني فلترسل لي كلمة واحدة فقط، وكنت أنتظر ردها بشغف، وكنتُ على ثقةٍ تامة لأول مرة بأن النتائج ستكون إيجابية، انتظرتُ بضع دقائق فقامت بإرسال رسالة نصية محتواها (كلمة)، لم أجب على رسالتها واصبتُ بالدهشة ، لا أعلم ما لذي منعني لكن كان شعوري حينها لا يوصف من السعادة .

ظننت أنني في حلم!

بدأت دقاتُ قلبي تتسارع، وأغمضُ عينيَّ وابتسم

لقد أرسلت لي رسالة لأعبر لها عن حبي، اذاً هي أيضاً تحبني، أي نعمة رزقت بها يا ليث؟

فتجرأتُ هذه المرة وقلبي يخفق بسرعةٍ كبيرة وقلت لها ليلى أنا أحبك – أنا متيم بك – أنا أحببتك من النظرة الأولى.

فتوقفتُ قليلا عن الكتابة ، لأرى ما كانت تخفيه. فقالت لقد كنت حرجةً جداً وأعلمُ بحبك لي

- **سامحك الله يا ليلى، لقد قطعتُ آلاف الأميال لأصلك، وأنتِ تعلمِ بحبي لك**
- **لقد قلت لك إني أحبك مئات المرات، أخبرني كيف لم تنتبه لها؟**
- **كيف كنتِ تخبريني ولن تتكلمي معي لو كلمة واحدة!؟**
- **ليث، أنا خجولة في النطق، لكني قلتها لك آلاف المرات، العيون من نطقت في ذلك الوقت ، وليس اللسان، ألم تخبرك عيناي بذلك؟ أنا أحبك أيضاً يا ليث .**
- **ليلى، لا أعلم ماذا جرى لي بعد تلك النظرات، ومن النظرة الأولى لم أفكر بشيء سواكِ، حتى أُمنيتي انشغلتُ عنها.**
- **وماهي أمنيتك يا ليث ؟**
- **لقد كانت فيما مضى مدرساً لمادة اللغة العربية.**
- **لقد قلت فيما مضى، والآن؟**
- **أمنيتي أنتِ .**

- لقد رأيتُ فيك الرجل الطموح المتزن، والروح الجميلة، والابتسامة الخجولة، فإنني واهبةً لك قلبي ، فأحسن احتوائه ياليث.
- آن لكِ أن تتطمأنِ

وأثناء محادثتي لها توقفتُ قليلاً عن الكتابة، وبعدها أرسلتُ لها حرف الـ (ب) فردت بحرف الـ (ح) ثم رددت لها بحرف الـ (ب) فردت بحرف الـ (ك)

ليصبح جمع هذه الحروف التي كتبناها سويةً (بحبك)

فهذه الكلمة ليست مجرد كلمة كُتبت بأناملنا، بل إحساسٌ نعيشه في هذه اللحظة ولا نمتلك له أي وصف فتجسد هذا الشعور بأربعة أحرف كانت هي البداية.

أما بالنسبة لي.....

فما أجمل هذا الشعور الجميل الذي أمر به الآن مع ليلى ، لا أعلم ما الذي يحصل لكنني كل ما أعلمه بأني سعيد.

لقد صدقت سارة عندما أخبرتني ذات يوم أن السعادة في الحب.

إن البدايات رائعة جداً لامثيل لها، ولا يستطيع أحدٌ أن يقطع عهوده في بداية الأمر، ومع أنني أعلم بذلك الشيء ألا أنني طلبت من ليلى أن نلتقي تحت شجرةٍ بعيدةٍ قليلاً عن منزلها.

اتفقنا على أن يكون اللقاء في تمام الساعة السادسة صباحاً.

أنا أنتظر قدوم الساعة السادسة بتشوقٍ وعندما أصبحت الساعة الخامسة وخمسٌ وأربعون ذهبت للجلوس تحت تلك الشجرة التي اتفقنا على أن يكون اللقاء تحتها.

أصبحت الساعة الخامسة وخمسٌ وخمسون، أتت لي ليلى برفقة فتاة معها، وعندما وصلوا رأيتُ ليلى ترتجف وتنظر خلفها وكأنها خائفة، فألقوا التحيةَ عليَّ

وقالت ليلى ها أنا قد أتيت؟

- **لماذا أنتِ خائفة، ومن هذه الفتاة التي جاءت معك؟**
- **أرجوك أسرع في قولِ ما تريده، فإننا لم نسلم إن رآنا أحد.**

- **أدركتُ أنكِ خائفة لهذا السبب، لكن من هذه الفتاة التي جلبتها معكِ؟**
- **إنها نور ابنةُ عمي ووتين قلبي، لا يمكنني أن أخفيَّ عنها شيئاً.**
- **أريدُ أن نجلس بين أغصان هذه الشجرة، ونشبكَ الأيادي، ونتعاهد ونحنُ كالبلابل نغرد جوفها.**

صعدنا وأصبحنا محاطين بأغصان تلك الشجرة، فمالي إلا أن أمسكتُ يدها ونظرتُ إلى وجهها الذي يعتريه الخجل وقلتُ لها بصوت هادئ

كم أحبكِ يا ليلى!

والخجل يعتري وجهها ولم تتكلم بشيء

هنا أفلتُ يدها ، وأخرجتُ من جيبي زهور الياسمين، ووضعتهم في كفيها، ولايزال وجهها يعتريه الخجل، وشيئاً من الخوف.

وابنة عمها تقف على قربٍ منا.

وبعد بضع ثوانٍ

قالت لي ليث :

- **ياعيون الليث**
- **عدني أن تصون حبي، ولا تتخلى عني أبداً.**
- **بمن أحل القسم أقسمت، وبمن وضع البراءة في عينيكِ حلفت، لن يبدلني زمن، ولن تغيرني ظروف**
- **وأنا أحبك أيضاً، فالتشهد أوراق هذه الشجرة علينا، أما الأن فأذن لي أن أعود قبل أن تصحوا عائلتي ولا يجدونني.**

****

أشرقت شمس نهار جديد على وجهي، استيقظت على أنغام صوت ليلى في منزلنا، وأيُّ جمال يذكر بعد هذا الصباح!

نهضتُ مسرعاً وارتديتُ أجمل ما أملك من ملابسٍ، وانتظرتُ خروجها، فلم يزرع بقلبي الطمأنينة سوى رؤية وجهها.

فجأةً، قُرع الباب برفقة صوت ينادي، ليث، ليث

- من الذي يصرخ لي؟

فتحتُ الباب، فوجدتُ صديقي يريد الجلوس معي، ما هذا الحظ السيء!

أدخلته واستضفتهُ سريعاً، كي يذهب قبل أن تنتهي ليلى من الحصة الدراسية، ثم نظرتُ نحو ساعتي، وأعدتها مراراً وتكراراً، كي يفهم بأنه أتاني في وقتٍ حرجٍ

فقال : ساعتك جميلة، من أين أتيت بها يا ليث؟

دمدمتُ بكلام حتى أنا لم أفهمه من شدة غضبي، ثم خرجت ليلى، وصديقي لايزال ملتصقاً بجدار الحائط كأنه قطعة إسمنت.

مضينا إلى اللقاء، وعندما التقينا سألتني، أتحبني؟

كان هذا السؤال مفتاحُ أي كلام بيننا، فالأنثى دائماً تحتاج إلى تلك الكلمة (أحبك) من لسان من تحب، فهي الكلمةُ الوحيدة التي تقبل التكرار آلاف المرات بين العاشقين دون الملل من سماعها.

أوشكت على السفر لتقديم فحوصاتِ المرحلة الثانوية في مركز المدينة، فجلستُ مع والدي وأخبرته باقتراب موعد الفحوصات.

فقال لي : أراك مقصراً في الدراسة، وسألتُ عنك المعلمين ولاحظوا تراجعك المفاجئ، هل تخفي عني شيئاً؟

- **لا يا أبي، إني.....**
- **أريد أن كون صديقاً لك الآن، فاعتبرني كذلك وبح لي، فأنا لا أصدق أنك لا تخفي شيئاً ، دعني أسمعها منك، قبل أن أسمعها من غيرك.**
- **أتذكر اليوم الذي أخبرتني فيه بأنك ستدفع لي القسط؟**
- **أيُّ يوم؟**

- **اليوم الذي تركت به العمل.**
- **نعم تذكرته، لكن ما به؟**
- **منذُ ذلك الحين يا أبي، أُبتليتُ ببلاءٍ عظيم، وإني لسعيدٌ في هذا البلاء، لقد أصابت سهام ليلى فؤادي، فوقعت في حبها، ونسيتُ الدراسة من أصلها، وهذا هو سبب تقصيري**
- **ويحك يا ليث، ليلى التي كانت تأتي إلينا؟**
- **نعم، إنها هي، سبعةُ أشهر على هذا الكلام.**
- **أتريد نصيحةً مني؟**
- **قل يا أبتي، لكن إن كان مضمونها الابتعاد عني فقد فات الأوان، فالقلب في بحر عينيها غرق .**
- **إنه حب المراهقين يا ولدي، وإن أكملت به في هذه اللحظات فستخسر حُلمك أيضاً.**
- **اقتصرت أحلامي عليها، لم أعد أريد حلماً سواها.**
- **ستذكّر كلامي بعد فوات الأوان.**

أنهيتُ حديثي مع والدي وذهبتُ لأخبر ليلى بسفري حاملاً معي رسالةً ورقيةً يحمل حبرها الأشواق والغزل وأخبرها بسفري ، رغم قدرتي على أن أكلمها عبر الهاتف.

حالفني الحظُ بوجودها على نافذة منزلها، فقذفت الورقة برفقة حجرٍ حتى تصلها، وكتبت في نهايتها، أعيدي قراءتها إن مسكِ الشوقَ ولم أكن بجوارِكِ.

ربما المسافات تفرقُ أجساد العاشقين، لكن يستحيلُ أن تفرق قلوبهم وأرواحهم.

ذات يوم، وعلى حين غرة، وجدتُ ليلى مع والدتها بزيارة لنا، بعد انتهائي من الدوام في المدرسة، تمنيتُ الجلوس معها، لكن كان حاجز العادات والتقاليد بيننا.

فانتهت من زيارتها، ثم دخلتُ لأمكث مكان جلوسها، فوجدت طوقاً يحمل حرف اسمها فسألتها

- **لماذا هذا الطوق؟**
- **وتسألني لماذا؟ إنه ذكرى بيننا، يرافقك في سفرك.**
- **سأخبرك أمراً.**

- **وما هو؟**
- **في كلِّ مرةٍ أراكِ بها، أتأمل تلك النعمة التي أرسلها الله لي على هيئة بشر، وأي نعمة تشبهك!.**

اليوم هو أحد أيام الربيع الأولى، ذو طقسٍ معتدل.

جلست تحت أشعة الشمس الدافئة على سطح منزلنا، أراقب ليلى وهي تمشي في حديقة منزلنا الصغير، بعد أن أعلن والدي استئناف الدروس لهم.

فجأةً: صوت انفجار ضعيف تبعه صوت انفجار أقوى، إنها قذيفة خرجت من البلدة المجاورة، وسقطت في الحي التي تسكن به ليلى، بعد أن نشبت الحرب في القرى المجاورة لنا.

صرخت ليلى خائفة، وبدأت بالبكاء والتمت صديقاتها حولها، أما أنا نظرتُ إلى دمعاتها المتساقطة، ثم ذهبتُ إلى جوارها وقلت لها، ألم تعتادي هذا الأمر بعد سبعة سنوات ونصف من الحرب؟

ازدادت دمـــوع ليلـــى والخـــوف قـــد اعتراهـــا، والتفتـــت نحـــوي وأكملـــت بكاؤهـــا، وعـــائلتي وأصـــدقاؤها حـــولي فلـــم أســـتطع أن أمسح دموعها وأفتح ذراعيَّ لها.

أمـــا عـــن تلـــك الـــدموع المتســـاقطة، قـــد كســـرتني، وجعلتنـــي أدرك مدى ضعفي لأنني لم أستطع أن أذهب الخوف عنها

عزيزتـــي : لـــو تعلمـــي بـــأنني مـــا زلـــتُ نادمـــاً، نادمـــاً جـــداً، لأننـــي لـــم أمســـح دموعـــك فـــي ذلـــك اليـــوم، ولـــم اتجـــرأ أمـــام الجميع على معانقتك، وتقبيل راسك، سامحيني .

ليلـــي: إنـــي لا أريـــد مـــن هـــذه الحيـــاة مـــالاً وجاهـــاً، فليـــنعم صـــاحب المـــال بمالـــه، وصـــاحب الجـــاه بجاهـــه، أمـــا أنـــا فـــلا أريـــد غيركِ

لقـــد اكتفيـــت بـــكِ ولا أســـمح لأي شـــيء فـــي الـــدنيا أن يبعـــدك عني

لقـــد انشـــغلتُ عـــن الدراســـة، وأهملـــت واجباتهـــا، ولـــم أعـــد أهـــتم لأي شـــيء فـــي الـــدنيا ســـوى ليلـــى ، كنـــت أردد بـــداخلي ليلى في حياتي وأريد شيء آخر!

عزيزتي :أنا أحبك.

أبدأ بصباح يوم جديد، أتت ليلى وذهبت دون أن أراها، لأنني كنت في دورة دراسية هذا اليوم

اتصلت بها عبر الهاتف بعد عودتها إلى منزلها، أخبرتني بأنها قد وضعت كتابها في زاوية المنزل ويوجد بداخله رسالةً ورقية قد كتبتها لي، فذهبتُ إلى زاوية المنزل ووجدت الرسالة بداخل الكتاب فقرأتها وشممتها وضممتها بين ذراعيَّ.

كانت الرسالة الأولى في يوم الثلاثاء اليوم الخامس من الشهر الثالث للعام ألفين وثمانية عشر قد كتبت لي هذه الرسالة في الساعة السادسة وثلاثة عشر دقيقة مساءً، وحصلت عليها في اليوم التالي ، يوم الأربعاء الساعة الثانية عشر مساءً

والرسالة الثانية كتبتها الساعة السابعة مساءً ، كانت في اليوم السابع والعشرون من شهر مارس للعام ألفين وثمانية عشر.

لفتَ انتباهي في هذه الرسالة كلمات قد ختمت الرسالة بها وهي (هذه الرسائل ستبقى ذكرى مني لك فاحتفظ بهم جيداً لأننا سنريهم لأولادنا ذات يوم)

لكن هل سيمنحنا القدر أن نعيش جمال ذلك اليوم؟

****

إن الحب الذي وهبتها إياه لم أهبهُ لأي بشر في الدنيا فهي كالشمسِ الساطعة التي أشرقت بعد أعوام من الظلام.

أجلس ذات مساء، فاتصلتُ بها، وقلتُ لها، لا يمكن لشيء أن يصف شوقي لكِ في هذه اللحظات، فهل أنتِ لي مشتاقة؟

- **أنـــا وردة نبـــتُّ مـــن بـــين ضـــلوعك، فـــاروني بحنـــان منـــك، وكـــن بجـــانبي، ولا تجعلنـــي أشـــعر بالـــذبول والاشـــتياق، أنـــا وردة أبـــت ان يـــروي ظمأهـــا غيـــرك، فـــاروي ظمئـــي ، إنـــي في أشد لحظات الاشتياق.**
- **ليلـــى، لا يوجـــد بينـــي وبـــين عائلتـــك رابـــط يمنحنـــي الحـــق في المجيء لرؤيتك، فأريد أن أراكِ يوم غد في منزلنا.**
- **حســـناً ســـآتي مـــع صـــديقتي، بذريعـــة أنـــي أريـــد أن أســـأل أباكَ سؤال.**
- **بانتظارك أنتِ ، لكن مع أي صديقة، هل هي نور؟**
- **ومن غيرها**
- **ستجديني بانتظارك، فمتى الغد؟**
- **إن الغد لناظره قريب.**

لقـــد جـــاء الغـــد، هـــا أنـــا أحمـــلُ باقـــةً مـــن الـــورود، وأنتظرهـــا عنـــد مـــدخل المنـــزل الخـــارجي، ومـــا إن طقطـــق كعـــب نعليهـــا علـــى الأرض أمـــامي ، انحنيـــتُ علـــى ركبتـــي أمامهـــا، مخبـــأً وراء ظهري باقة الورود

فقالت لي : ليث، يا لجنونك ماذا تفعل؟

قدمتُ لها باقة الورود الحمراء إجابةً على سؤالها، ثم نهضتُ وذهبتُ خارج المنزل، كي أعود بعد أن تدخل جوف منزلنا، لألا يعلم والدي بأنني حولت منزلنا ملاذاً للقاءِ العاشقين، فأنا أخبرته ذات يوم بحبي لها.

وبعد مدةٍ قصيرة دخلتُ إلى المنزل، وتظاهرتُ بالدهشة عندما رأيتها، ثم بدأت السماء تنهمر بالمطر، وكانت قطرات المطر تتسلل من نافذةِ الغرفة إلى جوفها.

انشغلوا عائلتي بترميم النافذة، فاقتربتُ إلى جوار ليلى وقلت لها :

ما بك؟

- **ما أجمل المطر!**
- **بل ما أجملكِ أنتِ، لقد منحني القدر أن أخبرك تلك الجملة والسماء ماطرة، فمتى سيمنحني الحق أن أمسك يدكِ ونجري تحت مطرها؟**
- **ليث، انهض من جانبي بسرعة، قبل أن ينتهوا عائلتك.**

انتهت زيارتها لنا، ومن ثم حل المساء، فاتصلتُ بها وتحدثنا عن روعةِ ماحل في الصباح، فقالت لي :

لدي طلب واحداً منك.

- **طلباتك منفذة فقولي لي ما هو؟**
- **أريدُ أن تصرخ بملأ صوتك، أحبكِ ليلى.**
- **هذا الجنون بأم عينه، ماذا جرى لعقلك!**
- **دعك من الجنون، ولا تصرخ فإني أمازحك.**
- **لا عليك، أخبريني ماذا تحبِ؟**
- **أحب المطر**
- **وماذا؟**
- **والطيور والطبيعة**
- **وماذا؟**
- **والورود التي أعطيتني إياها**
- **أنا لا أقصد عن تلك الأشياء، أقصد عن الأحلام.**
- **أحب السفر.**
- **وماذا؟**
- **وأحب أن أصبح مهندسة.**

- **لا أقصد عن هذه الأحلام، أقصد عن الأشخاص الذين تتمنين أن يكونوا في حياتك دائماً .**
- **اه، أبي وأمي.**
- **حسناً .**
- **لا تغضب، أحبك أنت، أنت المكان الدافئ، والحلم المنتظر، والشخص الوسيم**
- **هل تحبي السفر حقاً؟**
- **نعم.**
- **أو تذريني بمفردي؟**
- **لا، أريدُ أن أسافر برفقتك بعد أن أصبح مهندسةً ذات يوم، فهاذا المجال يمنحني السفر، وستكون معي.**
- **ليلى، سأنصرف الآن، نتكلم في وقت لاحق، وداعاً.**
- **انتظر قبل الذهاب.**
- **ماذا تريدي؟**
- **قل لي أحبكِ ثم اذهب.**
- **أحبك**
- **الان سمحتُ لكَ بالذهاب.**

يا لتلك المجنونة، جعلتني مجنوناً أيضاً.

ذهبتُ مسرعاً نحو كتبي الدراسية، وبدأتُ ألوم نفسي، كم أنا مقصراً في حقها، ماذا لو كان كلام والدي صحيح عندما قال لي هذا حب مراهقين وسينجلي؟

والآباءُ لا تكذب.

سأكون مع ليلى، لكن سأحافظ قليلاً على الدراسة، فهي أيضاً تدرس، وتطمح أن تكون مهندسة، ويجب أن أدرس أنا أيضاً وأصبح معلماً.

***

تمضي أيامنا الجميلة مسرعة، وفجأةً حل علينا ذلك اليوم الذي كنتُ أخشاه، فقد أحاطت نيران الحرب بقريتي،

والسماء بُدلت أمطارها بالقذائف، والناس في هلعٍ تريد المفر.

اتصلتُ بليلى، فقالت لي : إني أحمل خبراً ستمتلئ أفئدتنا هموماً بعد حدوثه.

- **ماذا هناك، هل سقطت قذيفةً على منزلكم؟**
- **لا، لقد قرروا عائلتي السفر إلى مكانٍ آمنٍ نكمل فيه أنا وإخوتي مسيرنا الدراسي، ربما يكون يوم غد أو بعد غد.**
- **ليلى تحدثِ شيئاً غير هذا الكلام.**
- **هذا ما حصل، فهل لنا بوداعٍ أخير؟**
- **لن نتفارق ثقِ بذلك.**
- **أريدُ أن أراك تحت تلك الشجرة، التي كنا نلتقي بها.**
- **حسنا، سأكون هناك مطلع الصباح.**
- **انتظرك، فلا أريد أن نرحل دون أن أودعك.**

كانت تلك الشجرة المكان الوحيد في قريتنا، الذي احتوى عاشِقَّين بصدق، وسمحت لهم باللقاء في ظلها.

ذهبت إلى تحت تلك الشجرة، أنتظر قدوم ليلى، لم أنتظر طويلاً، فسرعان ما أتت ليلى، ربما هذا ثالث لقاءٍ لنا وأظن بأنه الأخير.

جلست ليلى بجانبي، فهممتُ بعناقها لكني لم أفعل، فاكتفيت بوضع يداها في قضبة يدي .

بدأنا التحدث ، وكلما تكلمت تراودني نفسي في عناقها، لكن كان هناك شيئا ما يمنعني من ذلك.

وبعد حديثٍ دام أكثر من نصف ساعة قالت لي :أنا قد تأخرت استأذنك بالعودة، انتبه لنفسك جيدا ياليث.

- **قبل الذهاب، إلى أي مكان سترحلون ، وكم المدة التي ستبقون بها هناك ؟**
- **إلى دمشق، سنعود بعد خمسة عشر يوماً.**
- **هل تدركي شدة الألم، سنصبح في وطن واحد ولا نستطيع اللقاء، فأنا متخلفاً عن الخدمة العسكرية، ولا أستطيع الذهاب لذلك المكان.**

****

حتمت ليلى قرارها على السفر إلى مكان لا أستطيعُ الوصول إليه ولو بشقِ الأنفس بسبب تخلفي عن الخدمة العسكرية، وكانت مرغمة على ذلك السفر، من أجل امتحان الشهادة الإعدادية، ومن أجل الحرب التي قد حلت على قريتنا، لكنها قالت لي ستعود بعد خمسة عشر يوماً، حتى وإن كانت القرية تقصف، فستعود إلى القسم الذي أمكث به أنا

كانت آخر رسالة لها ، الساعة السابعة والنصف صباحاً، محتواها، أخبرتني ذات يوم أن قلوب العاشقين لا تكذب، فقلبي غير مطمئنٍ، رافقني بدعائك، ألم تقل لي ذات يوم بأن الدعاء أصدق الحب.

سأبقى خمسة عشر يوم دون أن أكلمك، فلم أعد أملك بعد الآن وسيلةً للاتصال بك.

استيقظتُ على فاجعة رحيلها، وكيف لي أن أصبر على بعدها؟

من سيرسل لي أشواقاً محملةً على أوتار صوت فيروز في كل صباح ؟

من سيختلق الخصامات، ويلقي التهمةَ عليَّ كي أرضيه أنا؟

رحلت ليلى، فمتى اللقاء؟

في اليوم الأول بعد رحيلها، تغيرت علي الحياة، لأنني كنت أبدأ صباحي كل يوم بها، وأختم نهاري بالنوم على صوتها، أما هذا اليوم فلم أنم .

أما اليوم الثاني، كان اليوم الأول من شهر رمضان، أيقظتُ عائلتي الساعة الثالثة صباحاً، والقرية تُقصف بالقذائف والصواريخ ، فتناولنا السحور، وبدأتُ أساعد عائلتي في رحيلهم إلى قرية آمنة، لكنني أصريتُ على البقاء في القرية في منزلنا، حتى وإن كانت تقصف.

أما عن ليلى، فهي لم تفارق مخيلتي أبداً، أحسب لها الساعات منذ أن رحلت، والأكثر سوءاً من رحليها بأنها قد رحلت إلى القسم الأول من سورية حيث لا أستطيع الذهاب إلى هناك.

أحسب لها الساعات والايام منذ أن شدَّت رحالها، وأنتظر مرور الخمسة عشر يوماً، كي تعود إلى القسم الثاني من سورية، لأشبع عيناي بالنظر إليها، ولكي نبدأ بمرحلة الخِطبة.

***

تجري الأيام في بعدها وكأنها خنفسةٌ تجري بين جزٍ من الصوف، أجلس في كل ليلة على سطح منزلنا، أتأمل القمر بين السحب وأحدثه ، وكثيراً ما يتغنى العاشقين المفترقين بهذا النوع من اللقاء البعيد في كل مساء ،فظننت أن ليلى أيضاً تنظر إلى القمر والنجوم في مثل هذا الوقت وتحدثهم .

مضت الأيام...

إنه اليوم الخامس عشر بعد رحيلها، هذه هي الليلة التي وعدتني ليلى بأن تعود بها، لكن لم يصلني أي خبرٍ عنها، ولم أعد قادراً على معرفة أخبارها.

كنت على أمل بعد انقضاء هذه المدة ستعود لي، لكن انقطعت سُبل الوصال معها ولم تعد، ولم أكن أملك وسيلةً غير الدعاء لها، والصبر لنفسي.

اقترب موعد الامتحان، لكني لا أريد التفكير بشيء سوى ليلى، وأنا في منزلي أجلس وحيداً بعد رحيل عائلتي، ولا أرغب بالخروج إلى أحد، فأُصبتُ بلعنة التفكير السلبي، وكل فكر ينهش بجسدي وأفكاري شيئاً ما.

أحدثُ نفسي هل هي بخير، أم أنها مريضة، هل مازالت على قيد الحياة!؟

لكن إحساس قلبي يخبرني بأنها على قيد الحياة، وإحساس قلوب العاشقين لا يعرف الكذب .

أيُّ شتات يرهقني؟

قد طال الفراق وكنا على عهدٍ بألا يطول ما الذي حدث؟

وماذا حل بليلى؟

ألا هل من هواءٍ يحملُ أشواقي لها ويأتي لي بطيفها؟

مـــاذا لـــو كـــان لـــي جنـــاحين، أحلـــق بهمـــا فـــوق ســـماء دمشـــق، وأرى ليلـــى، وقبـــل أن أتكلـــم بـــأي شـــيء أعانقهـــا بشـــدة، وأعـــودُ للتحليـــق بهـــا، وأُطيـــقَ ذراعـــيَّ علـــى كتفهـــا، وأقـــول لها، لا فراقاً بعد هذا اللقاء؟

نحلـــق بعيـــداً، بعيـــداً جـــداً إلـــى عـــالمٍ آخـــر، لا يهمنـــي أي عـــالمٍ، أريد أن نبتعد عن قذارة الحروب

يا ليت الخيال حقيقة !

طـــال الفـــراق أكثـــر وأكثـــر ومـــا زلـــت أنتظرهـــا، وكـــل ثانيـــة مـــن الانتظار أسقط قدماً نحو الأرض.

***

بدأ الامتحان للمرحلة الثانوية، إنه يوم غد، وأنا مقصرٌ في دراستي، كم تمنيت أن تكون بجانبي هذه اللحظة، أخبرها عن أحوالي في الامتحانات، عن تقصيري في الدراسة، بسبب التفكير بها، وبسبب الحرب التي وقعت ،عن المصارعة التي دارت في عقلي فربعه يريد الدراسة وليلى، وما تبقى يريد ليلى ولا يريد شيئاً غيرها.

في ذلك الوقت، وحسب التاريخ المحدد لموعد الشهادة الإعدادية، كانت تخضع لفحوصات المرحلة الإعدادية لكن لا أعلم عن حالها شيئاً ، أنتظر ظهور نتائجها عبر الانترنيت.

يترافق مع هذه الأيام يوم السابع والعشرون من الشهر الخامس ، هذا اليوم ليس عادياً بالنسبة لي.

إنه السابع والعشرين من شهر مايو، حيث هذا اليوم هو عيد ميلادها، فكم تمنيت أن نلتقي مجدداً، أفرح معها في هذا اليوم، أعانقها بنظراتي، فلا ينحدر مفهوم العناق على احتضانِ الجسد فقط.

****

انتهت الامتحانات ومضت الأيام مع اقتراب إعلان أسماء الناجحين في الشهادات الإعدادية والثانوية في القسم الأول والثاني من سورية.

ظهرت نتيجة نجاحي في هذه الاوانِ، لكنني لم أحصل على المجموع الكافِ لدخول كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أما عن ليلى فقد ظهرت نتيجة نجاحها أيضاً.

لماذا يحصل كل هذا في غيابها عني؟

كان من المفترض أن نكون مع بعض في هذه الأفراح والتفوقات.

.لكن لم يمنحنا القدر الحظ في الاحتفال سويةً في مثل هذه المناسبات

تأتي أيامٌ، وتذهب أخرى وأنا أنتظر عودتها، لكني أتمزق شوقاً لرؤية وجهها.

أفكر ماذا تفعل الآن؟

هل هي بصحةٍ جيدة، هل تشتاق لي مثل ما أشتاق لها؟

هل مازال ليثٌ يشغل فكرها، تباً للتفكير يكاد أن يقتلني؟

***

بعد تعبٍ وألمٍ، وأشواقٍ ودموعٍ مفرطة

أجلسُ في القرية ، في منزلي، والقرية تقصف بالطائرات

وضعت هاتفي في نافذة المنزل، وأغلقتهُ ، ثم خرجت إلى جوار منزل ليلى، و ذهبت إلى الشجرة التي كنا نلتقي عندها، فوجدتها رماداً بعد أن سقطت عليها إحدى القذائف.

كانت شوارع قريتي خالية بسبب ظروف الحرب التي ضربت القرية فلم يبقَ فيها أحد من الناس ، كانت حزينةً على أهلها كحزني على غياب ليلى.

أذكرُ أيام الوصال، أناديها أين أنتِ، والصدى يعيد لي ذاتَ السؤال ، فجلست عدة ساعاتٍ بجوار منزلها ، فصرختُ بأعلى صوتي أحبك، ثم عدت إلى منزلي مُحطماً محملاً بالهزائم محبطاً، وعندما غلبني الشوق لجأتُ إلى ربي ساجداً وعينايَّ ممتلئة بالدمع والقلب كئيبٌ.

دعوت ربي في سجدة أن تعودَ أيام الوصال وأن تكون بصحةٍ جيدة، وعندما انتهيت قمت بفتحِ هاتفي فوجدت أن هناك رقماً جديداً يرسل لي رسالة نصية محتواها (نائم- أين أنت)

أخبرني قلبي بأنها ليلى، وأكثر ما أثق به، إحساس قلبي.

وبعد دقائق كان قلبي محقاً ، فاتصلت بي تذرف دموع الاشتياق.

قالت لي: ليث هل نسيتني بعد أن فرقت أجسادنا المسافات؟

- **لا يمكن للمسافات أن تنسيني إياكِ، ولكن لماذا طال الغياب**
- **لقد أجبرنا على ذلك وسنبقى هنا حتى يشاء الله، فقدرُ علينا ذلك البعد، اشتقت لك، ولمنزلي، ولشوارع قريتي**
- **وأنا اشتقت لكِ أيضاً، ليت القدر يمنحنا الحق باللقاء بعد هذه الشهور من الفراق.**
- **ما لذي صنعتَ في غيابي؟**
- **لقد عانيت ظلام أيام فراقك في متضح النهار، وبكى قلبي لحالي وحالك، وصارعتُ أفكاري التي كانت تستجرني نحو الجنون، فهنيئاً لكِ ياليلى**
- **على ماذا تهنئني؟**
- **على أنكِ أحييتِ نفساً، وهنيئاً لمن أحيا نفساً، (كأنما أحيا الناس جميعاً)**
- **لقد كنت لا أريد للشمس أن تشرقَ على وجهي دونك، لكنه القدر، لم يمنحني ما أتمنى.**
- **خُيلَ لي ذات يوم بأنكِ تخليتِ عني، فلم تسعني الأرض برحبتها.**

- **أنـــا خُلقـــتُ مـــن ضـــلعك، وأنـــا لـــك، وســـأبقي لـــك، لا يمكـــن للمســـافاتِ أن تنســـيني وداً بحجـــم بحـــار الأرض وترابهـــا، لاتدع تلك الأفكار تتسللُ إلى دماغك فتفتك فيه.**
- **لقد كنت ممازحاً لكِ فيما قلته، أنا أثق بك وهذا يكفيني.**
- **وثـــق أيضـــاً بـــأنني لـــن أخـــذل هـــذه الثقـــة ياليـــث، وسنصـــبح ذات يـــوم تحـــت ســـقفٍ واحـــدٍ ، ونـــذكر هـــذه الأيـــام ونضـــحك على مانحن عليه، لكن أن طال ليل البعد، فلا تنساني**
- **وكيفَ لقلبي أن ينسى من أحياه؟**
- **ليـــث، لقـــد أصـــبحت الســـاعة الحاديـــة عشـــر مســـاءً، أنظـــر إلى القمر، أنا أنظر إليه هذه اللحظات.**
- **لقـــد خُيـــلَ لـــي أنـــك تكلـــمِ القمـــر كـــل مـــا إن ظهـــر ، فهـــل كـــان يحصل ذلك حقاً؟**
- **نعم، هل تنظر للقمر الآن؟**
- **نعم، وكأنك بجانبي رغم تلك المسافات!**

ـــــــــــــــ أحببتها ولكن كان للقدر رأي أخر ـــــــــ

مـن قـال أن البعـد ينسـينا مـن نحـب أنـا ازددت تعلقـاً بهـا وحبـاً لها.

لكـن هـذا اللقـاء البعيـد لـم يكـن كافيـاً بالنسـبة لـي فكنـت دائمـاً أسـعى لتـأمين مسـتقبلي، لأسـتطيع الـزواج منهـا، لأنـي أريـدها بجانبي جسداً وروحاً.

حل علينا المساءُ والقمرُ بدرٌ، نظرتُ الى الساعة كانت حينها الحادية عشر وعشرون دقيقة، ذهبتُ للجلوس على تلةٍ مرتفعةٍ تقع جانب القرية، جلستُ على قمة تلك التلة أنظر إلى القذائف المتساقطة على القرية وعلى القرى المجاورة، وأسمع صوت جحيم الطائرات وهي تمر من فوقنا ، للذهاب إلى قصف المدن والقرى في أماكن أخرى، ثم نظرت إلى ما يحيط بي، فوجدت شوارعٌ لا يمشي عليها أحداً ، وأشجار أبت أن تنحني فكان مصيرها القطع ، ومنازلٌ فارغةٌ، وبعضها مهدم، كانت قريةً كاملةً لم يكن فيها ضوء مصباحٍ أو أي ضوء كان، لازلت أتذكر أنين القريةِ في هذه الليلة .

تأملتُ هذه المنازل قليلاً، كم يوجد بين جدرانها أرواحٌ أبت أن تخرج منها، فظلت الروح في المنزلِ، وهاجر الجسد واتجه نحو المجهول، كانت تلك المنازلُ تئنُ على تلك الأجساد المهجرة، على المصابيح التي اطفأت بعدهم ولم تعد تشتعل.

وكان لسان حالها يقول معاتباً : أيتخلى الإنسان عمن احتواه ورعاه، انا الأم التي ترعرعت في ظلها وسهرت

عليك الليالي، أتدفن أسرارك في جوفي ثم تغادر، هل كان فراقي سهلاً لهذه الدرجة؟

ألا أستحق أن تقاتلَ من أجلي!

مرت الأيام بعد أن ازداد الوضع سوءاً ، وازداد القصف على القرية ومحيطها كثيراً، وهذه المرة لم يكن بالقذائف فقط، بل كانت الطائرات تأتي أسراباً، تقصف فتهدم ثم تقتل من بقيَّ في منزله ، وأصبح على مشارف القرية جنوداً نزعوا من قلوبهم الخوف من الله، لا يتسمون بصفات الرحمة والإنسانية، يحملون الحقد في قلوبهم السوداء، فاتصلت بي والدتي وهي تبكي، فقالت لي أرجوك لا تفجعني بك، أخرج من هذه القرية، لا أريد أن أفقد أحداً مجدداً .

استيقظت الساعة الخامسة صباحاً، ونظرتُ إلى المنزل نظرة وداع ثم أُجهشتُ بالبكاء، لأنني كنت متيقناً أنها النظرة الأخيرة ، ثم غادرتُ القرية وكأنني تركتُ جزءاً مني فيها.

وصلتُ إلى المنطقة الحدودية التي يمكثون بها عائلتي تحت الخيام، خيامٌ لا تقي حرَّ الشمس، ولا تردُ بردَ الشتاء، فلم أستطع أن أجلس مع عائلتي في الخيمة ذاتها وأنا أرى الجوع والهم والقهر في أعينهم، وكان هذا حال معظم السوريين الذين هُجروا، فاتخذتُ قرار الرحيل إلى مكانٍ بعيد، لعلني أستطيع من خلاله تأمين دخل عائلتي الشهري، والبحث عن مستقبل أفضل أستطع من خلاله التقدم لخطبة ليلى، فاتصلتُ بها وقلتُ لها : لم تعد الديار ديار، ولا الأرض أرضي، سأسافر إلى خارج سورية، فربما يُكتبُ لي من الحظِ نصيب.

- فكر قبل أن تتخذ القرار ياليث، ربما ستهدأُ الحرب في قريتنا، ونعود لها، وأنتَ في غربتك لا تستطيع العودة.
- لقد فكرتُ وقررت ولم يعد هناكَ مجالاً للتراجعِ أبداً.
- هل فكرت بما ستتركه من بعدك في هذه الديار؟
- أما منزلي وأرضي فقد سُلبوا، وأما عنكِ أنتِ وأهلي فاستودعتكم عند الله، وعند الله لا تضيع الودائع، وكوني على ثقةٍ بأني سأحارب كل شيء لكي نصبح تحت سقفٍ واحد.

- **ما بال صوتك تغير ياليث؟**
- **لا أخفيكِ، إن في قلبي من الألم ما يكفي لجعل صوتي وملامحي تتغير، كم أشتهي أن أبكي.**
- **أو تبكي ياليث، ما كان البكاءُ يوماً نافعاً للرجال.**
- **عندما كنتُ صغيراً كنت أتحملُ كل مرٍ، وأقابلهُ بابتسامةٍ، كي أحظى باعترافً عائلتي بأنني أصبحتُ رجلاً، أما الأن ياليتني عدتُ صغيراً، إن الرجال عندما تبكي، فاعملي أن خسارتهم كبيرة جداً، وها أنا خسرتُ وطناً فأريدُ أن أبكي.**
- **إن كان لكَ في البكاء راحةً فابكي، أُخرِج كل حزنٍ في داخلك مع الدمعات.**
- **حتى حق البكاء حُرمتُ منه، ليتني استطعت، فالدموع أبت أن تخرج من مقلتي.**
- **متى ستسافر؟**
- **في يوم غد**
- **لا أملك الأن سوى الدعاء لك. رافقتك السلامة ياليث.**

***

جلستُ مع عائلتي قليلاً، ثم ملأتُ حقيبة سفري، وبدأت أواسي أمي وأبي في حزنهم، وما إن أصبحت الساعة الخامسة صباحاً، قبلتُ يد والدي، وجبينَ أمي، وخرجت من المنزل.

وصلتُ إلى بلادٍ لغتهم غير لغتنا، وعاداتهم منافية لعاداتنا، يحملون في قلوبهم العنصرية لكل سوري.

لكن لماذا هذا الحقد علينا؟

كأن العالم كله ضدنا، فبئس قرارٍ اتخذناه هو خروجنا من ديارنا، كان الموت أرحم من تلك المعاناة التي نمرُّ بها الآن

لم يكن للدراسة أيُّ أملٍ في هذا الوقت، فبدأت أبحثُ عن عمل في إحدى المصانع، أتبادلُ الحديث مع الناس بلغة الإشارات، كأني أعمى بين جموعٍ مبصرين.

وبعد لحظات..

ساقني القدر أن أجلس على كرسي الرصيف، بالقرب من عجوزاً متسخ الثياب، يحملُ سيجارةً عربيةً، قلتُ لعلني أجد طلبي عنده.

رفعتُ يدي أوحي له بإشارة السلام.

فرد عليَّ وعليكم السلام.

- **أنتَ عربي يا عم ؟**
- **أنا عربي فلسطيني، ألم تعرف هذا من وشاحي؟**
- **وأنا عربي سوري، جميلٌ أن القدر ساقني إليكَ ياعماه.**
- **وعن ماذا تبحث يافتى؟**
- **أبحثُ عن عملاً، فهل تستطيع مساعدتي؟**
- **لقد وصلت، إن أولادي ليلة البارحة قالوا لي أن صاحب مصنعهم بحاجة إلى عمال، فاعتبر نفسك أنك قد بدأت في العمل، لكن أجلس أريد أن أعرف ماهي قصتك.**
- **أنا ياعم من قرية ريفية في شمال سورية، أراد القدرَ لهذه القرية أن تَفتُكَ بها الحرب، فخرجنا من الديار، طالبين الأمان والسلام، وأنا جئتُ للعمل عسى أن تهدأ الحرب وأعود إلى قريتي.**

- **لقد خرجنا من فلسطين منذ ثلاثون عاماً، دون أن نملأ حقائبنا فقلنا سنعود بعد أيامٍ قليلة، وكل يوم نأمل أن يوم غد سنعود، وها أنا بعيدٌ عنها منذ ثلاثين عاماً .**
- **نحن لسنا مثلكم، أنتم احتلت منازلكم الصهاينة .**
- **وأنتم من احتلكم؟**
- **لقد احتلنا العرب.**
- **لقد تأخرت على عودتي إلى المنزل، لا تنسى أن تأتي صباح يوم غد إلى هنا، فأنا سأنتظرك كي أصطحبك إلى المعمل.**

عدتُ أنا إلى المنزل الذي مكثتُ به واتصلت بليلى وقبل إن أرمي عليها السلام بدأت تقول لي : منذ اليوم الأول وأنت لم تفتح هاتفك، متأكدةً أنك كنت تجالسُ الفتيات وتريدُ أن تستبدلني بأخرى .

- **هل أصابكِ الجنون، ما هذا الكلام؟**
- **إذاً أريدُ أن أعرف أين كنت ومع من ؟**

- **لقد كنتُ أبحثُ عن عمل ووجدت عجوزاً فلسطينياً، جلستُ معه، وجئت الان كي أخبركِ بأني وجدت عمل، فشكراً على ثقتك وعلى ظنونك.**
- **ليث سامحني، سنبدأ بصفحة جديدة، لن أظن بك سوءاً بعد اليوم.**
- **كالعادة صفحة جديدة، لقد فتحنا آلاف الصفحات، ومع كل ذلك أنا سأسامحك.**
- **يوم غد هو وقفة عيد الأضحى، فماذا حضرت لي هديةً؟**
- **أغنية.**
- **جميل، هذا يعني أنك لم تنساني**
- **مجنونة**

***

اليـــوم ذهبـــت إلـــى عملـــي، وكـــانوا معظـــم العمـــال معنـــا عـــرب فلســـطينيين، فكـــم ســـررت بالعمـــل، وبعـــد عـــودتي اتصـــلت بليلـــى، وانتظـــرتُ حتـــى تصـــبح الســـاعة الثانيـــة عشـــر صـــباحاً، فقلـــت لهـــا : كـــل عـــام وأنـــتِ بخيـــر وأرســـلت لهـــا تلـــك الأغنيـــة كهدية بسيطة مني لها.

- **ماذا تريدينَ أن يتحققَ في العيدِ القادم ؟**
- **أُريـــد أن نصـــبح زوجـــين تحـــتَ ســـقفٍ واحـــد ولا أريـــد غيره، وأنت ماذا تريد؟**
- **أريـــد أن يتحقـــق مـــا أردتِ أنـــتِ ، فكـــم أتمنـــى أن أحظـــى بذاك اليوم الذي أعانقك به دون تردد أو خوف.**

***

مضى عاماً كاملاً على هذا الحال في غربتي، والوقت لا يسمح لي أن أكلمَ ليلى سوى في المساء، وذات يوم كنت أتحدث معها ، والغضب ظاهرٌ على وجهي من شدة إرهاقي في العمل ، ويُعرفُ من نبرةِ صوتي ، فلم تحتمل ليلى الحديث معي وأنا على هذا الحال، فأقفلت هاتفها ومضت وهذه المرة الأولى التي تدعني في غضبي وحزني وتجري، لكن أيترك المحب محبه في غضبه ويمشي؟

كانت علامات الاستفزاز وخلقِ الخلافات ظاهرةٌ عليها منذ بداية حديثنا ، فأقفلتُ الهاتف أيضاً ولم أكلمها أو تكلمني، فقلت في نفسي سترسل لي بعد قليل طالبةً مني أن افتح صفحةً جديدة.

لقد أصبح الوقت ما بعد منتصف الليل ولم ترسل لي!

حسناً سأعتذرَ منها في الصباح، وأكلمها، فيوم غد هو عطلةً بالنسبة لي.

وعندما بدأت الشمس بالإشراق ، أرسلتُ لها اعتذاراً عن غضبي الذي حصل في ليلةِ أمس.

كنتُ أفكر أنه خلافاً بسيطاً، وستسرُ عندما ترى اعتذاري الذي أرسلته لها في رسالةٍ نصية، لكن حدث عكس ماكنت أفكر به فقالت:

- **ليث، أنتَ لا تستحقني أبداً، أنا أنتظرك لتأتيني غاضباً؟**
- **لقد شرحتُ لكِ ما في الأمر، لكن إن غضبت ألا تبقيّ معي؟**
- **أتريدُ أن أصارحك؟**
- **بكل تأكيد.**
- **أنا مللتك، ومللت الحديث معك، أكمل طريقك بمفردك، وأنا سأكمل طريقي بمفردي.**
- **هل جننتِ**
- **لا**
- **ما هذا الكلام إذاً**
- **هذه الصراحة ياليث.**

- سأتكلم معك في وقت لاحق، فأنتِ ربما أُصبتِ بالجنون في هذه اللحظات.
- لا تتعب نفسك، فأنا بكامل قواي العقلية، ولدي أسئلةٌ كثيرة أريد أن أطرحها عليك.
- هاتِ ما عندكِ.
- ما لذي قدمته لي؟
- ما هذا السؤال؟
- سؤال، وأجب على قدره، طبعاً ليس لديكَ جواب.
- وهل مثل هذا السؤال يقالُ لي بعد حب دام سنين؟ لكن سأجيب عليه، ألم تكفيكِ ثقتي بك، وصون حبك لي في حضورك وفي غيابك، هل خوفي عليكِ لم يعد كافياً؟
- لا، لم يكن كافياً، أريد رجلاً غنياً يحقق أحلامي.
- لكني لم أبخل عليكِ بشيءٍ ذات يوم مهما تعبتُ في الحصول عليه، هذا العذرُ ليس كافياً ، فلتختاري عذراً آخر.
- لا أحتاجُ إلى أعذارٍ، لم أعد أريدك، أفهما كما شئت.
- وأنا لدي سؤال أريد أن أطرحه عليكِ.
- قل ما عندك.

- **هل أحببتِ أحداً غيري؟**
- **هـــذا الســـؤال لا يعنيـــك ولا يحـــق لـــك ان تســـأله، نهايـــة الكلام، لم أعد أريدك في حياتي.**
- **ليلـــى مـــا الـــذي غيـــركِ بهـــذه الســـرعة، وهـــل كـــل ذاك الحـــب الذي أقنعتِني به مجرد كلام فارغ .**

لم تجبني، وحجبت رقمي.

كـــأن متوقعـــاً أن يبتعـــد عنـــي الجميـــع ســـواها، لكنهـــا كانـــت أول من ابتعد.

إلـــى هـــذه اللحظـــة وانـــا لـــم أصـــدق بأنهـــا جـــادة، لا يعقـــل أن ينتهـــي حـــب أربـــع ســـنوات بهـــذه البســـاطة والســـهولة، لا هـــذا غير معقول أبداً، سأعود للتحدث معها مجدداً .

انتظـــرتُ حتـــى اليـــوم التـــالي وأنـــا أظـــن بأنهـــا ســـترفع الحجـــب عـــن رقمـــي، لكنهـــا لـــم تفعـــل، فأرســـلتُ لهـــا مـــن رقـــمٍ آخـــر، وعنـــد معرفتهـــا بـــأنني أنـــا مـــن أرســـلتُ لهـــا، حجبـــت هـــذا الـــرقم بسرعة، اذاً هي جادة فيما قالته.

ما أقسى هذه الخيبة وما أشد ألمها على قلبي.

لقد قال والدي لوالدتي ذات يوم، إن ليث مغرمٌ بإحدى الفتيات، وحين عودته سنتقدم لخطبتها له، فاتصلت بي والدتي وقالت لي : أنا أنتظر عودتك بفارغ الصبر، فمنى عيني أن أفرح بك

ماذا سأقول لها الأن!

هل سأقول لها خيبتي، أم أني سأختلق عذراً كي لا يُكسرَ خاطرها.

لقد كان والدي محقاً عندما قال لي إنه حب المراهقين وسيزول.

ليلى :هل كل ذلك الحب والمودة ذهب أدراج الرياح، أم أنه كان هناك شيئاً ما يجبركِ على الابتعاد عني، كالظروفِ مثلاً ، ولكن أيُّ ظروفٍ تمنعُ المحبَ من وصال محبه.

***

ربما كان هذا الابتعاد بالنسبةِ لها شيئاً طبيعياً، لكنه لم يكن لي كذلك، فأنا منذُ أن بلَغتُ في هذه الحياة كانت ليلى أمامي، ونشأتُ على حبها.

إن من أكثر ما يهلك نفسي ويؤلمها، هي هذه اللحظات التي أعيشها الآن ، أولى أيام الفراق الأبدي ، فرحيل الأحبة من حياتنا يتركُ فراغاً كبيراً في جوفنا، فكيف إن كان دون عذرٍ.

لماذا تُلقى الخيبات كلها على المرء دفعةً واحدة؟

كنت أريدُ أن أصبح معلماً في مادة اللغة العربية، فلم أحظى بما أريد، ووطني أصبح من المستحيل رؤيته، وها هو الوطن الثاني تخلى أيضاً!

مـن قـال لكـم بـأنني لسـتُ إنسـاناً حتـى تلقـوا علـى قلبـي هـذه الويلات؟

تقـف الحـروف الأبجديـة العربيـة كلهـا، عـاجزةً عـن وصـفِ خيبتـي بليلـى، فلتمضـي أيـن مـا شـئتِ ، سـتعودينَ لرشـدكِ ذات يـوم، ولكـن كـل مـا أخشـاه أن يطـول الغيـاب فتكـون عودتك متأخرة.

***

أسـئلة كثيـرةٌ تـدور فـي ذهنـي لا أملـكُ لهـا جوابـاً سـوى أننـي اعتزلـت النـاس اعتزلـتُ أصـدقائي لا أريـد أن أكلـم أحـد ولا أريدُ رؤية أحد.

كانـت ليلـى مـع الحـرب فـي صـفٍ واحـدٍ كلاهمـا وقـف ضـدّي، الحـرب التـي مازالـت مشـتعلةً بعـد أحـد عَشَـرَ عامـاً ،لأجـد أن هناك حرباً أُخرى قد أعلنتها ليلى على ليث.

***

أصبحتُ في كل ليلةٍ أعيدُ الذكريات و أبتسمُ من فرط الوجع أنظر إلى صورتها معاتباً، وشاكياً لها قسوتها.

وقسوة الليل، فإن عودة ذكرياتِ الايام الماضية مع حلول الليل، يزيد من أنين الروح، ويعظم مصابها، وتتمزقُ أشلاؤها، فيبقى السؤال، ماذا فعلت حتى قابلتني بذلك الجفاء المفاجئ؟

تلك المعاناة التي أمر بها، كم أتمنى بحدوث معجزةٍ تنهيها، لأنني ولله أرى وجه ليلى في كل الوجوه، وأرى طيفها بكل الزوايا.

عند كل مكان نرحل منه نتركُ جزءاً من قلوبنا فيه ونمضي، وكذلك القول يُطَبقُ عند وداع كل إنسانٍ عشنا

معه وقاسمناه لحظات من الحياة، فكيف إن قاسمناه هذه الحياة كلها.

مكثت عاماً ونصف مغترباً عن كلِّ شيءٍ، وها أنا الآن أستعد للعودة إلى عائلتي في تلك الخيام المريرة، رغم أنني أعلم بأن الصواب في بقائي بموضعي، لكني مللتُ كل شيء، حتى أصبحت لا أعلم ما أريد .

عدتُ من سفري إلى تلك الخيام، فوجدتُ الفقر قد ازداد فيها، وشبح المجاعة أصبح يهددهم ويطرق أبوابهم كل ليلة، وكل ما صادفتُ أحداً أرى اليأس ظاهراً في عينيه .

جلستُ في خيمةٍ صغيرةٍ، لا تكفي لأكثر من شخصين جانب عائلتي، ثم خرجتُ بعد عصر اليوم التالي، لأمشي بين أزقةِ هذه الخيام، فوجدتُ أن رائحة الموت تفوح في كل مكان، والناس كأنهم سكارى وماهم بذلك، وهذا الكلام لا ينطوي على الجميع، بل فقط على هذه البقعة من الخيام، التي أصبح عدد سكانها أكثر من العاصمة دمشق، وأنا أجري بين تلك الازقة خرجت على الشارع الرئيسي فرأيتُ طفلةً أعتقد بأنها في الثالثة عشر من عمرها، بثياب ممزقة، ودون حذاء ترتديه بقدمها، تقف على مكبٍ صغيرٍ

للنفايات، فوقفت على بعد أمتارٍ قليلةٍ عنها، فوجدتها تجمعُ من أكياس القمامة المواد المعدنية إن وجِدت لبيعها، فتمر من جانبها عشرات الأليات الحديثة بعضها لمنظمات يدَّعون الإنسانية وبعضٌ آخر لولاة أمورنا، فلم أجد أحداً منهم استوقف سيارته وأعطى هذه الطفلة حتى لو كان شيئاً قليلاً من المال، أو حتى قطعة بسكويت.

هؤلاء اللذين مروا كأنها لم تمر عليهم الحرب أبداً، معظمهم من فئة الواسطات وأبناء المسؤولين، وكان هذا الصنف موجود في كل أنحاء سوريا بغض النظر عن الدويلة التي هم فيها، كانت هذه الحرب بالنسبة لهم مصدر رزقٍ جديد.

ترى هل هذه الطفلة خرجت من تلقاء نفسها، أم أنه هناك شيئاً ما أجبرها على ذلك، فجأةً تأتي امرأةً يظهرُ أنها في العقد الرابع من العمر تحمل كيساً وتأتي إليها، وعندما وصلت لجانبها، قالت لها :آمل من الله انك قد وجدتي شيئا من المعادن هذا اليوم، فوالدك بحاجة إلى الدواء بأسرع وقت، وبدأت دموع هذه المرأة تتساقط من عينيها وتقول يارب، وبدأ قلبي يعتصر من الألم لكن لا أستطيع أن أفعل

لهما أي شيء، سوى أنني غُلبتُ على أمري وأُجهشتُ بالبكاء.

أيُّ مسؤولية حلت على عاتقهما، وما ذنب تلك الطفلة بأن تصبحَ عاملةً في جمع المواد المعدنية من القمامة ؟

اكتشفت بعدها بعدة ايام بأن هذه الحالة لم تكن نادرة فقط بل كانت منتشرة وبشكل كثيف في هذا المكان

فبدأت أحدث نفسي، هل كانت هذه الحرب قضيةً ضدَّ حكم كما ادعى البعض، أم أنها ضدَّ مجتمعٍ أرادوا تجويعه وذله؟

فمن منطق الشعارات التي كانت تُكتبُ على الجدران ويهتف بها فإنها ضدَّ حكم، وعندما التمست شيئاً من الواقع بعد سنين طويلةٍ، وجدت أنها ضدَّ هؤلاء الناس البسطاء، لكن ماهدفهم من ذلك، ومن الذي أعلن هذه الحرب عليهم

أي خراب حلَّ بهذه الناس؟

فاعتـدتُ رؤيـة هـذا المشـهد وغيـره كلمـا إن خرجـت مـن ذلـك الكـوخ الصـغير، ويومـاً بعـد يـوم أشـعر بـأنني أفقـد الإنسـانية أيضاً.

***

سـبعة شـهور علـى فـراق ليلـى حتـى هـذا اليـوم ، تسـتفيقُ ليلـى مـن غفلتهـا وتعـود لترجـع حبـال الـودِ بيننـا، فترسـل لـي أسـفها ونـدمها، وتقـدم لـي أعـذاراً أقـبح مـن العـذر الـذي

تركتني من أجله، لم أصدقها ولا أريد أن أزداد بها تعلقاً ، فهي قادرة على أن تدعني بمفردي وتمضي في أي وقت، كما فعلت في السابق.

قالت لي :ليث هل فقدت الشغف في الوصول لي، ألا تريد التقدم لخطبتي، فإن كنت تريد فدع والدك يكلم والدي، وسأعود إلى القسم الثاني من سورية لأجلك.

- **رغم حبي لكِ وأنيني في غيابكِ، ألا أنني لم أعد أريدك، لقد كذبتِ بحبك لي وخنتِ العهدَ ومضيتِ عني دون عذرٍ، ولا يعقل أن يعذب المحب حبيبه، ويبتعد عنه بتلك البساطة، وأن يجعله آخر اهتماماً بالنسبة له.**

ليلى :لم يعد بجوفي مساحةً خاليةً للعتب، أو لخيبة جديدة ، فلتذهبي إلى أي مكان تريديه، أما أنا أريد أن يشفى جرحي الذي لم أجد دواءً له، وأن هذا الجرح الذي تركتيه في قلبي لعظيم، فانصرفي عني.

مـــاهي إلا أيـــام قليلـــة، علـــى آخـــر محادثـــة بيننـــا، ســـاقني القـــدر للجلـــوس مـــع نـــور صـــديقة ليلـــى التـــي أتـــت معهـــا ذات يـــوم إلـــى تلك الشجرة عندما التقينا.

فقالت لي :ماهي أخبارك مع ليلى؟

- **لا أعلـــم مـــاذا ســـأتكلم، لكـــن هـــل هـــي مـــن ارســـلكِ لمحـــادثتي، أنا لم أعد أريد التكلم معها.**
- **ما لذي حصل بينكما؟**
- **لا شيء.**
- **إذاً أنتَ لا تعلم ما لذي حصل لها.**
- **وما لذي حصل لها؟**
- **هنـــاك شـــاب تقـــدم لخطبتهـــا وهـــي قـــد تعرفـــت عليـــه منـــذ أن مكثـــت فـــي دمشـــق، ووافقـــت عليـــه، وبعـــد ســـبعة شـــهور قـــد فُســـخت تلـــك الخطبـــة، وأنـــا علمـــت بأنهـــا قـــد تركتـــك أصحيحٌ هذا؟**

أرجـــو بـــألا تفهـــم مقصـــد كلامـــي الفتنـــة، لكـــن لا أريـــد أن يكـــون هنـــاك إنســـانٌ يتلاعـــب بمشـــاعره أحـــداً ، فليبقـــى هـــذا الأمر سراً بيننا.

هنا أدركت تماماً بأن عذر الرجل الغني لم يكن مقنعاً، بل لم يكن لها عذرٌ سوى أنها خائنة، وكان هناك من يسد فراغي في قلبها، فابتعدت عني، وبعد فسخ الخطبة عادت لتكلمني.

أيُّ وقاحةٍ تمتلكينها ياليلى !

إذاً هذا هو السبب الذي أبعدها عني.

كان من المنبغي أن نكون في مثل هذا اليوم تحت سقف واحد يجمعنا الحب والحنان في منزلٍ صغير، نحلق في كل ليلة فوق النجوم

أضمكِ بشدَّة بين ذراعي وأتوسل إلى الله بألا يبعدني عنكِ، كم كنتُ متلهفاً لقدومه، متلهفا لوضع رأسك على كتفي ، لمعانقتك.

سأكتب لكِ وأنا متيقنٌ بأنك ستقرئين فأنتِ فتاةٌ تحبُ الفضول كثيراً.

أنا لم أنساكِ حتى يومي هذا لكني حتماً مع مرور الأيام سأنساكِ، ولم أخطأ في أي يوم معك بل كنت أحبكِ أكثر مما ينبغي، وأنتِ إلى هذا اليوم تعلمين بذلك لكن لماذا

حتمتي قرارك على الابتعاد وهل وجدتِ الصواب في البعد عني؟

قد يوهمك أحدهم بأنه يحبك، أو قد يحبك حقاً لكن لن يحبك أحداً مثلي ، وأنا على أتم الثقة فيمَ أتكلم وأنتِ ستعودين لرشدك ذات يوم وستعلمين شعوري ، ربما ستبكي قليلاً وربما يعود بكِ الحنين إلى الوراء فتشتاق ناظريكِ لرؤيتي، لكن حينها لن تجدِ ليثاً أمامك.

وأما أنا فقد دفعت الثمن، وأصبحتُ ضحيةً لكِ وكنتُ بمثابة الدواء الذي انقطعتِ عنه عند شفاؤكِ

ليتني بقيتُ ذاك الغريب، وبئس حبٌ جعلني أنطق تلك الجملة.

حقيقةً، لا يمكن أن أنسى أيامي معها، حلوها ومرها، وكلما استعدت ذكريات الأيام الماضية معها أتمزقُ وجعاً، لكني لا أريد أن أكمل حياتي معها.

من كان يصدقُ بأن ليلى ستخون؟

كان قلبي يشعرني بالشيء قبل حدوثه، لكن طغى حب ليلى عليه، فأصبح لا يشعرني بشيء.

قد كنت أملك قلباً نقياً صادقاً، وبدأت أدفع ثمن تلك الغلطة

لا أدري على أي جحيمٍ مقبلٌ أنا ، فغياب البعض عن حياتنا بعد أن كان كل هذه الحياة، ينهك العقل والفكر والجسد في آنٍ واحد.

إنها الساعة الحاديةَ عشر ونصف مساءً، أنظر الآن لأيامي الماضية، التي قد مرَّ عليها أعوامٌ، وأتساءل .

أين عالمي الخاص الذي كنت أبنيه لنفسي وأحصنه ؟

هاهو اليوم أصبح عالماً مدمراً

أين أُمنيتي التي كنتُ أحلم بها وأشغلتني عنها ليلى الخائنة؟

كان من المنبغي ان أصبح مدرساً لمادة اللغة العربية في هذه الأيام.

هل ضللت الطريق!

لقد انتهيت منذ قليل من كوب القهوة، يخيل لي أنني لن أستطع النوم حتى الصباح.

ذكرياتٌ ويأسٌ وألامٌ تحيط بي من كل الجوانب، وتحول مجرى ذكرياتي إلى الجوانب السلبية في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل.

كيف أبدلَ رأيهُ ووضع كلَّاً منا في بلادٍ بعيدةٍ عن الأُخرى، وعلَّق قلب ليلى بحب شخص آخر

شتانٌ بين من أفنى نفسه وتخلى عن كلِّ شيءٍ لإسعاد من يحب، ووجد لكل غلطةٍ عذراً كي لا يبتعد، وبين من اختلق المشاكل ووجد من اللاشيء شيئاً للابتعاد

شتان يا ليلى .

ـــــــــــــــ أحببتها ولكن كان للقدر رأي أخر ـــــــــ

بين وطنٍ مدمر وحبيبة خائنة فقدت نفسي، كانا كلاهما بالنسبةِ لي وطن فالأول قد دُمرَّ والثاني قد خان.

أصبحت بلا وطن. لكني ازددت قوةً في السير على تحقيق حلمي القديم، دون أن يشغلني عنه أي شيء، فكانت الصفعاتُ الماضية درساً تعلمتهُ واجتزته.